مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: فنون العصر الحجري القديم (الباليوليت) في بلاد الشام
اسم الكاتب: د. حسام غازي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/2703
تاريخ الاسترداد: 2026/11/02 10:29 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

فنون العصر الحجري القديم [الباليوليت] في بلاد الشام

د. حسام غازي*

الملخص

يتناول هذا البحث فنون العصر الحجري القديم في بلاد الشام من ناحيتين، الأولى متمثلة بدراسة الفنون بكافة جوانبها من خلال المعطيات الميدانية الحالية، والثانية تتمثل بمحاولة تفسير موضوع التفوق الثقافي في مجال الفنون بين بلاد الشام وأوروبا الغربية خلال العصر الحجري القديم الأعلى – حيث بلغ الإنسان العاقل عاقل في أوروبا مرحلة متطورة جداً على صعيد الفنون [الرسم والنحت والموسيقى والحلي وأدوات الزينة...] بينما نلاحظ افتقار بلاد الشام إلى تلك المنجزات– وذلك من أجل الوقوف على حقيقة الأمر والإجابة على التساؤلات المطروحة بين الباحثين والتي كان من أبرزها: هل التفوق الثقافي الأوروبي خلال العصر الحجري القديم الأعلى حقيقة واقعية؟ أم أن السبب متعلق بمنهجية التنقيب وطبيعة المواقع المنقبة في كلا المنطقتين؟

* قسم الآثار – تاريخ قديم.

Arts in the Levant Paleolithic

D. Hussam Ghazi *

Abstract

This research deals with the arts of Paleolithic in the Levant in two ways: first, represented by studying the arts in all its aspects through the current local field data, the second by attempting to explain the cultural superiority of arts between the Levant and Western Europe during the Upper Paleolithic. Where, in Europe, the Homo Sapiens Sapiens reached a very advanced stage at the level of arts (Painting, Sculpture, Music, Ornaments and Decorations tools). While, in the Levant, we note the lack of those achievements, in order to identify the truth of the matter and to answer the questions raised among the researchers, which were the most prominent: is the European cultural superiority during the Upper Paleolithic a reality? Or is it related to excavation methodology and the nature of the excavated sites in both regions?

* Department of Archeology - Ancient History.

المقدمة:

تشير نتائج أعمال البحث والتنقيب الأثري في المواقع الأثرية العائدة إلى لعصر الحجري القديم الأعلى في كل من أوروبا الغربية وبلاد الشام إلى وجود فارق ثقافي كبير بين منجزات الإنسان العاقل عاقل في أوروبا الغربية ومنجزاته في بلاد الشام ولاسيما في مجال الفنون؛ إذ نلاحظ بلوغ الإنسان العاقل في أوروبا مرحلة متطورة جداً على صعيد الفنون [الرسم والنحت والموسيقى والحلي وأدوات الزينة...] بينما نلاحظ افتقار بلاد الشام إلى تلك المنجزات، ولا يوجد حتى الآن أي مؤشرات تساعدنا على معرفة فيما إذا كان هذا الفارق الثقافي هو الواقع الحقيقي للمقارنة أم أن أعمال البحث والتنقيب الأثري المستقبلية سوف تغير هذا الواقع؛ لذلك نهدف من هذا البحث إلى:

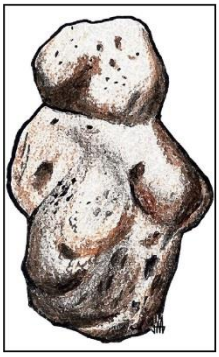
أولاً: دراسة الفنون بجميع جوانبها في بلاد الشام خلال العصر الحجري القديم بهدف التعرف على ما تم كشفه حتى الآن، وتحليله، واتخاذه نقطة انطلاق لتحقيق الهدف الثاني من هذا البحث.

ثانياً: محاولة تفسير الفارق الثقافي في مجال الفنون بين المنطقتين [بلاد الشام – أوروبا الغربية] خلال العصر الحجري القديم.

العصران الحجريان القديم الأدنى والقديم الأوسط: تندر في هذين العصرين الشواهد الأثرية الدالة على الفنون، وهي ممثلة فقط من خلال موقعين، وهما موقع بركة رام العائد للعصر الحجري القديم الأدنى، وموقع القنيطرة العائد للعصر الحجري القديم الأوسط:

موقع بركة رام: يقع في الجولان السوري المحتل، وتم اكتشافه خلال المسح الأثري لمحيط الموقع عام 1979م، ثم تم تنقيبه على مدار موسمين في عامي 1980 و1981م، وعثر فيه على مجموعة من الأدوات الحجرية العائدة للثقافة الأشولية، ومن أهمها الفؤوس البيضوية الشكل. ويكتسب هذا الموقع أهميته من خلال الدمية الأنثوية

التي عثر عليها عام 1981م بين طبقتين من الرماد، وأطلق عليها اسم فينوس بركة رام [الشكل: 1]، وهي عبارة عن دمية أنثوية صنعها إنسان الهوموأركتوس من كتلة حجرية شغلت بشكل بسيط جداً بواسطة أداة حجرية حادة، ويبلغ طولها نحو 35 مم، وهي تحمل ثلاثة حزوز تكوّن الرقبة، والصدر، والذراعين، وعدها بعضهم حجراً طبيعياً غير مشغول من قبل الإنسان، بينما يرى بعضهم الآخر أنها من صنع الإنسان، وتشير نتائج التأريخ المطلق التي تم القيام بها بواسطة تقنية البوتاسيوم/أرغون إلى أن الاستيطان الأشولي في الموقع يعود إلى نحو 233 ألف سنة ق.م، وبذلك تكون هذه الدمية أقدم دمية في العالم، وأقدم شاهد على معرفة الفن في تاريخ الإنسانية[1].



الشكل (1):فينوس بركة رام.

موقع القنيطرة: يقع في الجولان السوري المحتل، وتم تنقيبه خلال ثلاثة مواسم في الأعوام 1982، 1983، 1985م، وهو يعود إلى الحجري القديم الأوسط، وبالتحديد

[1] MARSHACK A. 1997. The Berekhat Ram figurine: a late Acheulian carving from the Middle East-La figurine de Berekhat Ram: Une sculpture de l'Acheuléen tardif du Moyen Orient. Antiquity 71/272، p. 327-337.

المرحلة الحديثة من الثقافة الموستيرية [الموستيري الحديث نموذج الطابون B]، ويؤرخ على نحو 45 ألف سنة ق.م. وعثر في هذا الموقع على حجر محزز بشكل مقصود دعي حجر القنيطرة نسبةً إلى اسم الموقع [الشكل: 2]؛ وهو حجر محزز بحزوز غائرة تشكل أقواساً متحدة المركز تعطي شكلاً فنياً، ويبلغ طول هذا الحجر نحو 7،2 سم، وقد تم نحته بواسطة أداة حجرية حادة، وهو يمثل أقدم عمل فني لإنسان النياندرتال في منطقة المشرق العربي القديم[2].



الشكل (2): حجر القنيطرة المحزز.

العصر الحجري القديم الأعلى: تم توثيق الشواهد الدالة على فنون هذا العصر من خلال ثلاثة مواقع أثرية، **وهي:** ملجأ يبرود الصخري الثاني، وملجأ كسار عقيل، وكهف الحمام. ملجأ يبرود الصخري الثاني: يقع في وادي إسكفتا على بعد حوالي 80 كم إلى الشمال الشرقي من مدينة دمشق، وتم اكتشافه عام 1930م من قبل عالم الآثار الألماني ألفرد روست الذي قام أيضاً بتنقيبه بين عامي 1930 – 1933م، وتمكن من اكتشاف 10 طبقات أثرية فيه، وهي مرقمه من 1 إلى 10. وتؤرخ الطبقات من 10 إلى 8 نهاية

[2] JAUBERT J. 1999. Chasseurs et artisans du Moustérien. La Maison des roches. 152p.

العصر الحجري القديم الأوسط، بينما تؤرخ الطبقتان 7 و6 الفترة الانتقالية بين العصرين الحجريين القديم الأوسط والقديم الأعلى، أما الطبقة 5 وربما الطبقة 4 فتعودان للثقافة الأحمرية، وأخيراً فإن الطبقات 3 إلى 1 تعود للثقافة الأورينياسية. وفي عامي 1964 – 1965م تم استئناف أعمال التنقيب في الملجأ من خلال سبر قام به رالف سوليكي من جامعة كولومبيا، ولكنه لم يعثر فيه إلا على مجموعة بسيطة من الأدوات الحجرية[3]، وهذا يدل على أن روست قد نقب الجزء الأهم من الموقع. وعثر ألفريد روست خلال تنقيباته في الملجأ ضمن الطبقة الرابعة على تسع أصداف حلزونية، وثلاث كسر طولانية مثقوبة بشكل بسيط بغية استخدامها كحلي[4] [الشكل: 3].



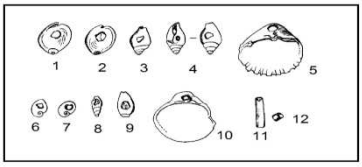
الشكل (3): حلي من ملجأ يبرود الصخري الثاني، الطبقة الرابعة.

ملجأ كسار عقيل: يقع في وادي أنطلياس على بعد حوالي 10 كم إلى الشمال الشرقي من مدينة بيروت. وتم اكتشاف هذا الملجأ عام 1922م، وبعدها تم تنقيبه جزئياً في عامي 1937–1938م من قبل إونك، ثم توقفت التنقيبات الأثرية خلال الحرب العالمية الثانية، وفي عامي 1947–1948م تم استكمال أعمال التنقيب في الموقع من

[3] SOLECKI R. S، SOLECKI R. L. 1987-1988. Archaeological Researches at Yabroud، Syria and Vicinity، summer 1987. Annales Archéologiques Arabes Syriennes، n°37-38، p. 9-49.

[4] RUST A.1950. Die Hôhlenfunde von Jabrud (Syrien)، K. Wachbaltz، Neumiinster.

قبل إونك أيضاً ليتم كشف 37 طبقة أثرية تغطي الفترة الممتدة من العصر الحجري القديم الأوسط وحتى نهاية العصر الحجري القديم[5]، ومع ذلك بقي الغموض يحيط بجوانب عديدة من المقطع الستراتيغرافي للموقع، وهذا ما دفع تكسيي إلى استئناف أعمال التنقيب في الملجأ في عام 1969م، فقد استمرت تنقيباته حتى عام 1975 م، وأثمرت في كشف 12 طبقة أثرية تغطي الفترة الممتدة من العصر الحجري القديم الأعلى حتى نهاية العصر الحجري القديم[6]. وعثر في هذا الملجأ في 16 أيلول عام 1971م ضمن الطبقة c 8 على مثقب محزز بحزوز غائره مصنوع من عظم الغزال[7]، كما عثر أثناء تنقيبات تكسيي وإونك على بعض الأصداف المثقوبة بثقوب طبيعية [الشكل4: 1 إلى 12]، عدها بعضهم حلياً مستخدمة بوضعها الحالي دون أي شغيل عليها من قبل الإنسان، وهي جميعها من أصل بحري باستثناء واحدة فقط من أصل نهري[8].



الشكل(4): كسار عقيل: 1 إلى 12 حلي.

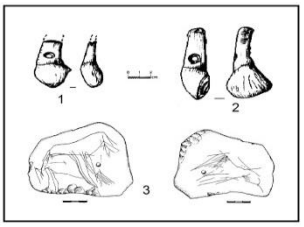
[5] EWING J. F. 1949. The treasures of Ksar' Akil. Thought، Fordham University Quarterly، XXIV، n° 93، p. 255-288.

[6]TIXIER J.، INIZAN M.-L. 1981. Ksar 'Aqil، stratigraphie et ensembles lithiques dans le Paléolithique Supérieur: fouilles 1971-1975. In: Cauvin، J. & Sanlaville (eds.)، Préhistoire du Levant: chronologie et organisation de l'espace depuis les origines jusqu'au VIe millénaire. Colloques Internationaux du CNRS، 10-14 juin Lyon، Maison de l'Orient. Paris: Centre National de la Recherche Scientifique، p. 353-367.

[7] TIXIER J. 1974. Poinçon décoré du Paléolithique supérieur à Ksar Aqil (Liban). Paléorient، n° 2، p. 187-192.

[8] INIZAN M.-L. 1978. Coquillages de Ksar-'Aqil: éléments de parure? Paléorient، n° 4-1، p. 295-306.

كهف الحمام: يقع في منطقة الجليل الفلسطينية، وتم تنقيبه في الأعوام 1965-1971م، 1975م - 1977-1979م. وأثمرت أعمال التنقيب في هذه الكهف عن كشف 5 طبقات أثرية [A إلى E] تغطي الفترة الممتدة من الباليوليت الأوسط القديم إلى الإبيباليوليت. وعثر في الطبقة D العائدة للثقافة الأورينياسية على مجموعة متواضعة من الحلي، وهي عبارة عن أقراط مصنوعة من أسنان الحيوانات [الشكل: 1 و 2]، وكتلتين حجريتين محززتين بشكل مقصود [الشكل: 5]، عثر على الأولى في الطبقة D1-2، أما الثانية فعثر عليها في الطبقة D4[9].



الشكل (5): كهف الحمامالطبقة D: 1، 2 أقراط مصنوعة من أسنان الحيوانات، 3 كتلة من الكلس محززة بشكل مقصود.

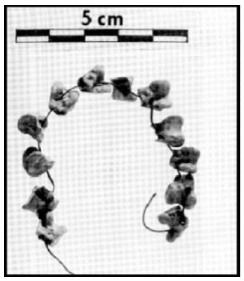
نهاية العصر الحجري القديم [الإبيباليوليت]: تم توثيق الشواهد الدالة على فنون هذا العصر من خلال تسعة مواقع أثرية وهي:

كهف الحمام: إضافة إلى اللقى الأثرية سابقة الذكر العائدة للثقافة الأورينياسية، فقد عثر في هذا الكهف على مجموعة مميزة من الحلي المصنوعة من عظام الطيور التي

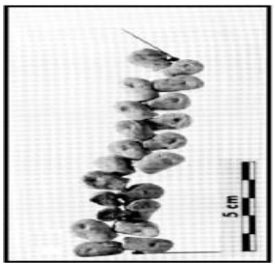
[9]BELFER C. A. and BAR-YOSEF O. 1981. The Aurignacian at Hamam Cave. Paléorient، n° 7-2، p. 19-42.

كانوا يصطادونها من أجل لحومها التي كانت جزءاً من نظامهم الغذائي، ومن أجل استخدام عظامها في صناعة الحلي، وتأتي أهمية تلك الصناعات من ارتباطها بالممارسات الجنائزية، فقد عثر في هذا الموقع على 16 قبراً نطوفياً، من بينها القبر الذي أخذ الرقم 9 بترقيم القبور، وقد عثر عليه في القسم العلوي العائد للثقافة النطوفية من الطبقة D، وعثر فيه على ثلاثة هياكل عظمية مدفونة بشكل مقصود؛ أي عملية دفن منظم، ويعود اثنان من هذه الهياكل إلى رجلين بالغين قدر عمر كل واحد منها عند الوفاة بنحو 25 إلى 30 سنة، فقد أعطي الهيكل الأول الرقم 25، وأعطي الهيكل الثاني الرقم 27 وذلك بموجب الترقيم المتبع لحالات الدفن المقصود في كهف الحمام، أما بالنسبة إلى الهيكل العظمي الثالث فهو يعود لفتاة قدر عمرها عند الوفاة بنحو 18 إلى 20 سنة، وقد أعطي هيكلها العظمي الرقم 26 من بين الهياكل العظمية البشرية المكتشفة في كهف الحمام. وعثر في هذا القبر أثناء اكتشافه من قبل أرونسبيرج (B. Arensburg) على 14 قطعة عظمية، وتبين من خلال الدراسة أنها مصنوعة من عظام الطيور، وبعد الدراسة الدقيقة لتلك القطع العظمية تبين أنها تشكل مجتمعة إسوارة مكونة من 14 قطعة عظمية دفنت مع الفتاة كنوع من المرفقات الجنائزية [الشكل: 6]. وإضافة إلى تلك الإسوارة فقد عثر فيه على 45 قطعة حلي عظمية أخرى ضمن الطبقات النطوفية، وهي عبارة عن بقايا قلائد وأطواق وأساور نسائية صنع معظمها من عظام الطيور[10] [الشكل: 7].

[10] BAR-YOSEF O. 1991. The archaeology of the Natufian layer at Hamam Cave. In: Bar-Yosef O.، Valla F. R.، eds. The Natufian Culture in the Levant. International Monographs in Prehistory، Archaeological، Series 1، p. 93-110.



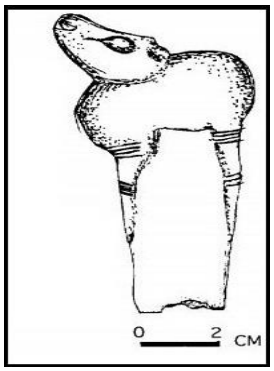
الشكل (6): إسوارة نطوفية مصنوعة من عظام الطيور عثر عليها في القبر 9 الواقع في القسم العلوي العائد للثقافة النطوفية من الطبقة D، وهي مؤلفة من 14 قطعة في الأساس، ولكن فقد منها قطعتان.



الشكل (7): حلي نطوفية مصنوعة من عظام الطيور عثر عليها في الطبقات النطوفية من موقع كهف الحمام.

مغارة الواد: تقع في جبل الكرمل في فلسطين، وبدأت أعمال التنقيب فيها من خلال ثلاثة أسبار قام بها لامبيرت (Lambert) عامي 1928م – 1929م، وبعدها تم تنقيب المغارة حتى عام 1933م من قبل كل من غارود وبات، وأثمرت تلك التنقيبات في كشف سبع طبقات أثرية تغطي الفترة الممتدة من العصر الحجري القديم الأوسط حتى عصر البرونز الحديث، وقد عثر في هذه المغارة ضمن الطبقات العائدة للثقافة النطوفية على قبضة منجل من العظم منحوتة بشكل واقعي جداً، وهي تمثل من وجهة نظر غارود أيلاً فتياً يرضع، ومثلت عيناه بشكل مضخم [الشكل: 8]، كما عثر على أقراط عظمية ذات

فصين من قطعة واحدة أو من قطعتين متصلتين، وفسرها بعض الباحثين أنها ترمز إلى الثديين، وذلك إذا أخذنا بالحسبان شكلهما المتطاول المنقسم الذي يشبه حلمات الماعز أو الغزال، وعثر أيضاً على رأس صغير من الكالسيت يجسد إنساناً واضحاً[11].



الشكل (8): قبضة منجل عظمي من مغارة الواد.

مغارة كبارة: تقع في جبل الكرمل في فلسطين، تم تنقيبها عام 1931م من قبل تيرفيل بيتر[12] (F. Turville-Petre)، ثم من قبل ستيكلس (M. Stekelis) في خمسينيات القرن الماضي، وبعدها استكملت أعمال التنقيب في المغارة من قبل بعثة أثرية دولية، وبالمحصلة عثر في هذه المغارة على لقى أثرية تغطي الفترة الممتدة من العصر الحجري القديم الأوسط [نموذج الطابون B] حتى عصر الثقافة النطوفية. وعثر في هذه المغارة ضمن الطبقات العائدة للثقافة النطوفية على خمس قبضات لمناجل عظمية[13]،

[11] GARROD D. A. E.، BATE D. M. A. 1937. The Stone Age of Mount Carmel. Vol 1، Oxford، Clarendon Press.

[12]TURVILLE-PETRE F. 1932. Excavations in the Mugharet el-Kebarah. Journal of the Royal Anthropological Society، 62.

[13] CAMPANA D. V. 1989. Natufian and Protoneolithic Bone Tools. Oxford: BAR international series 494.

أربع منها تنتهي على شكل رأس حيوان مجتر، وهو غزال على الأرجح، وقد مثلت العيون بشكل مضخم[14] [الشكل: 9].

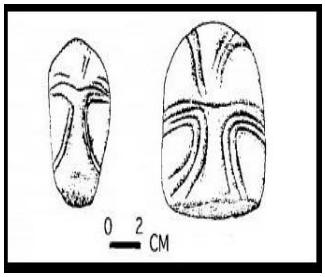


الشكل (9): قبضة منجل عظمي من مغارة كبارة.

عين ملاحة: يقع في حوض الحولة قرب نبع ماء يحمل الاسم نفسه، وهو عبارة عن قرية نطوفية كبيرة تبلغ مساحتها حوالي 2000م^2، وتم اكتشافها منذ خمسينيات القرن الماضي، ونقب منها نحو 250م^2، فقد عثر في السويات العائدة للمرحلة القديمة من الثقافة النطوفية على 10 قطع عظمية، وهي عبارة عن قطع متفرقة من الحلي مصنوعة من عظام الطيور، كما عثر على تمثال إنساني مصنوع من الكلس ومطلي بالمغرة الحمراء، فُقد رأسه، واقتصرت ذراعاه على جذع بسيط، وهذا يجعل تحديد جنسه صعباً، وعثر أيضاً على حصوتين من الكالسيت تحملان نقشاً يمثل على الأرجح وجهاً إنسانياً

[14]STORDEUR D. 1991. Le Natoufien et son évolution à travers les artefacts en os. In BAR-YOSEF، O. et VALLA، F. R. (Eds.) The Natufian Culture in the Levant. Michigan: International Monograph in Prehistory (Archaeological series 1)، p.467-482.

[الشكل: 10]، وكذلك عثر على حجرين يحملان أشكالاً هندسية هي خطوط متوازية مستقيمة أو معوجة[15].



الشكل (10): حصوتان من الكالسيت تحملان نقشاً يمثل على الأرجح وجهاً إنسانياً.

نحال أورن: يقع في جبل الكرمل في فلسطين، وتم تنقيبه من قبل ستيكلس (M. Stekelis) في الأعوام 1954–1957 و 1959–1960م، وهو يعود إلى الثقافة النطوفية، عثر فيه على تمثال مختزل صنع من حجر الكالسيت له وجه مزدوج نهايته تشبه رأس حيوان غامض يفصله عن الجسد عنق طويل فيه دائرتان على شكل العيون، كما عثر في هذا الموقع على قرن غزال فتي محروق ومصقول يحمل في نهايتيه آثار نقش إحداهما تمثل حيواناً مجتزاً بعيون كبيرة[16].

عين صخري: يقع في وادي خريطوم في فلسطين، وينسب إليه التمثال الغرامي الصغير الذي حصل عليه القس بروي (Breuil) من البدو الذي يعتقد نوفيل أن أصله من موقع عين صخري. وصنع هذا التمثال من حجر الكالسيت، ونحت بطريقة التخطيط

[15] VALLA F. 1991. Les Natoufiens de Mallaha et l'espace، in BAR YOSEF O.، et VALLA F. (éds.)، The Natufian culture in the Levant. International Monographs in Prehistory. Archaeological Series 1، Michigan، p. 111-122.

[16] كوفان، جاك: ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، ترجمة سلطان محيسن، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة أولى، 1988م، ص 28.

والصقل، وهو يمثل شخصين: رجلاً وامرأة في احتضان حميم، إشارة إلى العملية الجنسية[17] [الشكل: 11].

أم الزويتينة: يقع في فلسطين، وعثر فيه –أثناء تنقيبات نوفيل– على تمثال مصنوع من الحجر الرملي يجسد بواقعية كبيرة حيواناً مجتراً [غزال على الأرجح] بلا رأس، ويبدو هذا الحيوان جالساً رقبته طويلة، وذيله قصير، وقوائمه رفيعة، وهو مطلي بالمغرة الحمراء[18].



الشكل (11): تمثال موقع عين صخري في فلسطين.

فنون العصر الحجري القديم في أوروبا:

تعود أقدم الشواهد الأثرية الدالة على الفنون في القارة الأوروبية إلى الحجري القديم الأوسط؛ أي لإنسان النياندرتال، وهي وإن كانت نادرة إلا أنها معبرة جداً، وخير مثال على ذلك القطعة المحززة بحزوز متوازية التي عثر عليها في مغارة تيمناتا في بلغارية،

[17] كوفان، جاك: المرجع السابق، ص 29.
[18] كوفان، جاك: المرجع السابق، ص 26–28.

وأيضاً القطعة العظمية التي عثر عليها في موقع باشو–كيري في بلغارية، وهي تؤرخ على نحو 47 ألف سنة ق.م، ونحت عليه مجموعة من خطوط الزكزاك، كما عثر في بعض المواقع الموستيرية على أصداف بحرية ونهرية ربما صنعوا منها الحلي كالأطواق والحلق وغير ذلك، وعثر أيضاً على بعض القطع التي تحمل آثار استخدام للمغرة الحمراء التي ربما استخدموها بالتلوين والتزيين، وتجدر الإشارة هنا إلى موقع ديفجي بابي في سلوفاكيا الذي عثر فيه على عظم فخذ دب صغير عليه أربعة ثقوب تدل على استخدامه مزماراً ، وذلك منذ حوالي 45 ألف سنة ق.م ؛ وهو من أقدم الدلائل على معرفة الموسيقى في تاريخ الإنسانية [الشكل: 12]، ونضيف إلى ما سبق أيضاً اللوحة الجدارية التي عثر عليها في مضيق جبل طارق [لوحة كورهام] التي تعدُّ أقدم لوحة جدارية في العالم، وهي تعود لإنسان النياندرتال. ومع حلول الثقافة الشاتلبيرونية في أواخر العصر الحجري القديم الأوسط وبداية العصر الحجري القديم الأعلى نلاحظ تزايد عدد المكتشفات الأثرية الفنية، وما إن ظهر الإنسان العاقل عاقلاً حتى أصبحنا نشاهد تذوقاً لجميع أنواع الفنون في القارة الأوروبية، وهذا ما سوف نقوم بعرضه فيما يلي بعد التعريف بالثقافات التي شغلت القارة الأوروبية من نهاية العصر الحجري القديم الأوسط حتى بداية العصر الحجري الحديث:



الشكل (12): مزمار ديفجي بابي.

تطور المشهد الثقافي الأوروبي من نهاية العصر الحجري القديم الأوسط حتى بداية العصر الحجري الحديث:

الثقافة الشاتلبيرونية (Châtelperronien): سميت بالشاتلبيرونية من قبل هنري بروي (H. Breuil) في عام 1906م وذلك نسبة إلى مغارة دي فيّ (Des Fées) الواقعة في بلدة شاتلبيرون في إقليم اليّه (Allier) في فرنسا، وهي تؤرخ على نحو 45 إلى 40 ألف سنة ق. م، وتعود للفترة الانتقالية بين العصرين الحجريين القديم الأوسط والقديم الأعلى، وتنتشر المواقع الأثرية العائدة لها في فرنسا وشمال إسبانيا، وتتميز بالحراب الشاتلبيرونية[19].

الثقافة الأورينياسية (Aurignacien): وهي أولى ثقافات الإنسان العاقل في أوروبا، وتؤرخ على نحو 39 إلى 29 ألف سنة ق. م. وسميت بالأورينياسية من قبل هنري بروي (H. Breuil) وإيميل كارتياك (E. Cartailhac) في عام 1906م نسبة إلى مغارة أورينّيك (Aurignac) الواقعة في حوض نهر الكارون الأعلى في فرنسا التي تم تنقيبها من قبل إدوارد لارتيت عام 1860م. وتتميز هذه الثقافة بصناعة النصال الأورينياسية، والنصال المخصرة من خلال فرضتين متقابلتين، ونبال فون إيف، ونصيلات دوفور، والمكاشط والأزاميل سفينية الشكل، والأزاميل المعقوفة[20].

الثقافة الغرافيتية (Gravettien): تؤرخ على نحو 27500 إلى 20500 سنة ق.م. وسميت بالغرافيتية من قبل فيرنارد لاكور (F.Lacorre) نسبة إلى ملجأ غرافيت

[19] BAFFIER D. 1999. Les derniers Néandertaliens - Le Châtelperronien، Paris، la maison des roches.

[20] GHAZI H. 2013. Contribution à la connaissance de l'Aurignacien du Levant: analyse typo-technologique des industries lithiques de la séquence de Yabroud II (Syrie). Thèse de Doctorat en Préhistoire، Université de Bordeaux I.

(Gravette) الواقع في منطقة الدردون في فرنسا، وتشتهر بشكل أساسي بصناعة الحراب الغرافيتية[21].

الثقافة السولوترية (Solutréen): تؤرخ على نحو 22 إلى 17 ألف سنة ق.م. وسميت بالسولوترية من قبل غابرييل دي مورتيه (G. De Mortillet) نسبة إلى موقع سولوتر (Roche de Solutré) الواقع في جنوب فرنسا الذي تم اكتشافه عام 1866م من قبل هنري تيستوت فيري (H. Testot-Ferry) وأدريان أرسولان (A. Arcelin)، وهي تتميز بالحراب السولوترية الجميلة[22].

الثقافة البديغولية (Badegoulien): تؤرخ بنحو 19000 إلى 17000 سنة ق.م. وسميت بالبادغولية من قبل كل من فينارد وفاشير (Ed. Vignard، G. Vacher) عام 1965م نسبةً إلى مغارة بادغول الواقعة في منطقة الدردون في فرنسا، وكانت تدعى سابقاً بالمجدلانية القديمة، وتتميز بالحضور الكثيف للرقائق المشغولة[23].

الثقافة المجدلانية(Magdalénien): تؤرخ بنحو 17 إلى 12 ألف سنة ق.م. وسميت بالمجدلانية من قبل غابرييل دي مورتيه (G. De Mortillet) نسبة إلى ملجأ مادولين (Madeleine) الواقع في منطقة الدردون في فرنسا الذي تم اكتشافه وتنقيبه من قبل

[21] OTTE M. 2000. Le paléolithique supérieur et le mésolithique en Europe، In: CORIENNE JULIEN avec la collaboration de Khadija Touré 2000. History of Humanity – Vol I: Prehistory and the Beginning of Civilization، l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation، la science et la culture (UNESCO)، Paris et Routledge، Londres, p. 517-551.

[22] BON F. 2009. Préhistoire: La fabrique de l'homme. vol. 14، Seuil، coll. « Collection L'Univers historique ».

[23] LANGLAIS M.، PETILLON J.-M.، DUCASSE S. et LENOIR M. 2010. Badegoulien versus Magdalénien : entre choc culturel et lente transition dans l'Aquitaine paléolithique، in: De Néandertal à l'Homme moderne - L'Aquitaine préhistorique، vingt ans de découvertes (1990-2010)، Mistrot، V.، (Éd.)، éditions Confluences، p. 116-129.

لارتيه وكريستي ابتدأ من عام 1863م، وتميزت في مراحلها الأولى بالحراب الحجرية المتنوعة، وتتميز ابتداء من المرحلة الرابعة برأس الحربون المصنوع من قرون الرنة[24].

ثقافة أفونتوفا–غورا (Afontova Gora): وهي إحدى ثقافات الإنسان العاقل في سيبيريا، وتؤرخ بنحو 21 إلى 14 ألف سنة ق. م. وسميت بثقافة أفونتوفا–غورا نسبة إلى موقع أفونتوفا –غورا في سيبيريا الذي تم اكتشافه عام 1884م من قبل سافونكوف (I. T. Savenkov). وتتميز هذه الثقافة بالصناعات الحجرية التي تحمل التأثيرات الموستيرية، وتحمل أيضاً مواصفات الباليوليت الأعلى[25].

ثقافة مالتا (Mal'ta): وهي إحدى ثقافات الإنسان العاقل في سيبيريا، تؤرخ بنحو 19700 إلى 17900 سنة ق.م. وسميت بثقافة مالتا نسبةً إلى موقع مالتا الواقع في منطقة بايكال في سيبيريا الذي تم تنقيبه من قبل جورازيموف (M. Gerasimov) بين عامي 1928 ، 1958م، ثم من قبل بعثة أثرية روسية بلجيكية مشتركة عامي 1995 ، 1996م. وتشتهر هذه الثقافة بالصناعات الحجرية التي تحمل التأثيرات الموستيرية، وتحمل أيضاً مواصفات الباليوليت الأعلى، واشتهرت أيضاً بصناعة الدمى[26].

الثقافة الأزيلية (Azilien): سميت بالأزيلية من قبل إدوارد بييت (Édouard Piette) عام 1889م نسبة إلى مغارة ميس أزيل (Mas d'Azil) الواقعة في أرييج في جنوب

[24] - BON F. Op. Cit. 2009، 339p.

[25] DROZDOV N. I.، ARTEMIEV E. V. 2007. The Paleolithic site of Afantova Gora. Recent findings and new issues. Archaeology، Ethnology، Anthropology of Eurasia 29، p. 39–45.

[26] PRIETO A.، and CARDENAS R. A. 2010. The Mal'ta Ivory Plate: A Paleolithic Mnemonic of Leather Technology? Current Research in the Pleistocene 27، p. 52-55.

فرنسا، وهي تعود إلى عصر الإبيباليوليت، وتؤرخ بنحو 9500 إلى 7500 سنة ق.م، وتشتهر بالحراب الأزيلية[27].

الثقافة السوفوتيرّية (Sauveterrien): أخذت اسمها من قرية سوفوتير–لا–ليمانس في حوض الكارون في فرنسا (Sauveterre-la-Lémance)؛ إذ يقع ملجأ مارتين (Abri du Martinet) الذي يعد الموقع الأم لهذه الثقافة، وتعود هذه الثقافة إلى عصر الميزوليت، وتؤرخ بنحو 8500 إلى 6500 سنة ق. م، وتشتهر بصناعاتها الحجرية الميكروليتي الهندسي، كما تشتهر بنوع من النبال يدعى نبال سوفوتير[28].

الثقافة الماغلاموزية (Maglemosien): وهي إحدى ثقافات عصر الميزوليت في أوروبا، تؤرخ على نحو 8300 إلى 5000 ق. م. وسميت بالماغلاموزية من قبل جورج سارو (George F. L. Sarauw) عام 1903م نسبة إلى منطقة مغلي موز في الدانمارك؛ إذ يقع موقع ميللريب (Mullerup). وتتميز هذه الثقافة بأدواتها الحجرية الميكروليتية مثل رؤوس السهام المبتورة أو بظهر منحني، ورؤوس السهام المثلثية الشكل[29].

الفن الأوروبي من نهاية العصر الحجري القديم الأوسط حتى بداية العصر الحجري الحديث: النقش والرسم: تعد اللوحة الجدارية التي عثر عليها في مضيق جبل طارق [لوحة كورهام] أقدم لوحة جدارية ونقش صخري في العالم، وهي اللوحة الوحيدة العائدة لإنسان

[27] BARBAZA M. 1999. Les Civilisations postglaciaires. La vie dans la grande forêt tempérée، Histoire de la France préhistorique، La Maison des Roches.
[28] VALDEYRON N. 2008. Sauveterrien et Sauveterriano: unité ou diversité du premier mésolithique en France méridionale et en Italie du nord. Pallas 76، p. 247-59.
[29] GRON O. 1995. The Maglemose culture: the reconstruction of the social organization of a mesolithic culture in Northern Europe. BAR (International series)، Nr. 616، Oxford.

النياندرتال، وبعدها نشهد فترة انقطاع تستمر حتى ظهور الإنسان العاقل؛ أي حتى ظهور الثقافة الأورينياسية التي تمثل بداية التحول الثقافي ولاسيما في مجال الفنون، فقد بدأ الإنسان بالرسم والنقش على جدران الكهوف التي سكنها، وشملت رسومه ونقوشه أشكالاً هندسية وحيوانية وإنسانية تعبر بشكل جلي عن حياته الرمزية، وتجسد البيئة التي عاش فيها، ومثال ذلك الرسومات الحيوانية التي عثر عليها في مغارة شوفيه ومغارة بوم–لاترون، وملجأ كاستانيت وبلانشارد في فرنسا، ومغارة فومانو في إيطاليا، وكذلك الرسوم والنقوش العائدة للثقافة الغرافيتية مثل نقوش ورسوم مغارة شوفي [الشكل: 13] ، ومغارة كوسكي [الشكل: 14]، ومغارة بيش ميرل، ومغارة كاركاس، والرسوم والنقوش العائدة للثقافة السولوترية مثل البوكيتا الألبي المنحوت على الصخر، وهو بقرون على شكل قوس دائرة، تم اكتشافه في ملجأ باتود في منطقة الدردوني الفرنسية [الشكل: 15]، ونذكر منها أيضاً لوحة الأحصنة التي عثر عليها في مغارة كوسكي في فرنسا [الشكل: 16]، وكذلك الإفريز المكون من 14 كتلة حجرية منحوتة بأشكال إنسانية وحيوانية مثل الخيول والرنة والبيسون والبوكيتا الذي عثر عليه في موقع روك دو سيرس في شارونت، وكذلك الرسوم والنقوش العائدة للثقافة المجدلانية، ومثال على ذلك مغارة لاسكو، ومغارة التاميرا [الشكلين: 17 و 18] وروك سورسيّر [30] [الشكلين: 19 ، 20].

[30] ADAM K. D.، KURZ R. 1984. L'Art des cavernes. Atlas des grottes ornées paléolithiques françaises. Paris.



الشكل (13): لوحة الأحصنة، من مغارة شوفي في فرنسا.



الشكل (14): لوحة اليد، دليل على قوة الإنسان وقدرته على السيطرة على الطبيعة، من مغارة كوسكي في فرنسا.



الشكل (15): البوكيتا الألبي المنحوت على الصخر في ملجأ باتود.



الشكل (16): لوحة الأحصنة في مغارة كوسكي الفرنسية.



الشكل (17): مشهد لثيران مرسومة على جدران مغارة التاميرا.



الشكل (18): مشاهد إنسانية وحيوانية مرسومة على جدران مغارة التاميرا.



الشكل (19): بوكيتا منحوت على جدران موقع روك سورسيّر.



الشكل (20): منحوتات على جدران موقع روك سورسيّر تمثل الربة الأم.

الحلي وأدوات الزينة: عثر في المواقع الأثرية العائدة للثقافة الشاتلبيرونية على قطع عظمية محززة بشكل مقصود بغية إعطائها مظهراً جمالياً، وعثر أيضاً على خرز وأصداف مثقوبة صنعت منها الأطواق والحلق والأساور، وهي جميعاً من صنع النياندرتال، وخير مثال على ذلك الحلي وأدوات الزينة التي عثر عليها في مغارة الرنة [الشكل: 21].



الشكل (21): حلي شاتلبيرونية متنوعة من مغارة الرنة.

ومع ظهور الإنسان العاقل أصبحت الحلي وأدوات الزينة أكثر تنوعاً كما هو الحال في الثقافة الأورينياسية التي عثر في مواقعها الأوروبية على تشكيلة متنوعة منها ممثلة بالأطواق والقلائد والأقراط والعظام المزينة بحزوز غائرة، ومثال ذلك مكتشفات ملجأ بلانشارد، ومغارة كاستانيت الواقعتين في منطقة الدردوني الفرنسية [الشكل: 22]، واستمر

الإنسان العاقل على الوتيرة نفسها في تصنيع الحلي، وأدوات الزينة في ثقافاته اللاحقة للأورينياسية والممثلة بالغرافيتية [الشكل: 23] والسولوترية والباديغولية[31].



الشكل (22): حلي متنوعة من ملجأ بلانشارد في فرنسا.



الشكل (23): طوق يعود للثقافة الغرافيتية مصنوع من عظام الماموت.

ومع حلول الثقافة المجدلانية ظهر إضافة إلى ما سبق ذكره من حلي وأدوات زينة ظهرت بكثافة القطع العظمية المزخرفة بالحز، وكذلك الأدوات العظمية المزخرفة بأشكال هندسية وحيوانية وإنسانية، ومثال ذلك مكتشفات مغارة فاش الفرنسية [الشكل: 24]، وإذا اتجهنا شرقاً إلى أوروبا الشرقية وسيبيريا نجد المشهد نفسه الذي رأيناه في أوروبا الغربية،

[31] RIGAUD S. 2011. La parure: traceur de la géographie culturelle et des dynamiques de peuplement au passage Mésolithique- Néolithique en Europe. Thèse de Doctorat en Préhistoire et Géologie du Quaternaire، Université de Bordeaux I.

فقد صنع الإنسان العاقل في سيبيريا مع أدوات ثقافتي مالتا وأفونتوفا–غوراً الحلي وأدوات الزينة المتنوعة [الشكل: 25]، وإذا تقدمنا زمنياً، ودخلنا في عصر الإبيباليوليت، ومن ثم الميزوليت الأوروبي نلاحظ التنوع الكبير في صناعة الحلي وأدوات الزينة، إذ تتجه هذه الصناعة نحو الكثافة، والدقة، والحرفية العالية، وهذا ما نلمسه أيضاً في الثقافة الأزيلية، ومن بعدها السوفوتيرية، وباتجاه الشمال الأوروبي في الثقافة المغلاموزية التي نقش أصحابها أيضاً على أدواتهم العظمية أشكالاً شبه إنسانية وخطوطاً هندسية وإشارات ورموزاً ذات مدلولات متنوعة [الشكل: 26].



الشكل (24): قطعة عظمية من مغارة فاش نحت عليها رأس غزال وسمكة.



الشكل (25): حلي مصنوعة من أسنان الحيوانات تعود لثقافة أفونتوفا–غورا.



الشكل (26): عظم محزز بخمسة أشكال بهيئة إنسانية وثلاثة خطوط زكزاك.

الدمى: صنع الإنسان العاقل الدمى من الحجر والطين والعظام وقرون الحيوانات ولاسيما الماموت والرنة، فقد صنع دمى أنثوية ترمز للربة الأم رمز الخصوبة والإنجاب، وصنع أيضاً دمى حيوانية متنوعة، والأمثلة على ذلك كثيرة في المواقع الأوروبية، ومن بينها الدمية الشهيرة التي تعرف بفينوس ليسبيوغ (Lespugue) المصنوعة من قرن الماموت التي يبلغ ارتفاعها نحو 147 مم [الشكل: 27]، وقد تم اكتشاف هذه الدمية عام 1922م في السويات الغرافيتية لمغارة دي ريدو (Des Rideaux) في منطقة ليسبيوغ الواقعة في الحوض الأعلى لنهر الكارون.



الشكل (27): فينوس ليسبيوغ.

ومن بين تلك الدمى الأنثوية أيضاً فينوس براسومبوي (Dame de Brassempouy) المصنوعة من قرن الماموت [الشكل: 28]، وعثر عليها عام 1894م في مغارة باب (Pape) الواقعة في قرية براسومبوي في منطقة أكيتين الفرنسية، وهي تعود بتاريخها إلى نحو 29000 سنة ق. م، وتؤرخ على الثقافة الغرافيتية، وتمثل رأس امرأة منحوتاً بدقة، وصفف شعرها بعناية كبيرة أيضاً، ويبلغ ارتفاعها نحو 3،65 سم، ويبلغ عرضها نحو 9، 1 سم.



الشكل (28): سيدة براسومبوي.

ونضيف أيضاً إلى هذه المجموعة الفرنسية فينوس لوجيري–باس (Laugerie-Basse) المصنوعة أيضاً من قرون الماموت [الشكل:29]، ويبلغ ارتفاعها نحو 8 سم، وهي تعود للثقافة المجدلانية.

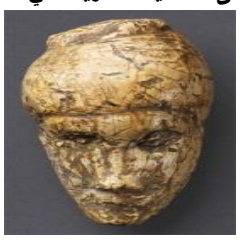


الشكل (29): فينوس لوجيري– باس.

أما حوض الدانوب فقد اشتهر بدمى دولني فيشتونيش ذات المدلول الرمزي العميق (Dolni Vestonice) المصنوعة من قرون الماموت أيضاً، وهي تؤرخ على نحو 26000 سنة ق. م، وتعود للثقافة الغرافيتية، وقد عثر عليها عام 1924م في قرية دولني فيشتونيش في مورافيا، وهي عبارة عن مجموعة من الدمى العظمية التي تمثل الربة الأم منحوتة بعناية كبيرة من قرون الماموت [الشكلين: 30، 31].



الشكل (30): مجموعة من الدمى العظمية الأنثوية التي عثر عليها في دولني فيشتونيش.



الشكل (31): رأس دمية أنثوية مصنوعة من قرون الماموت عثر عليها في موقع دولني فيشتونيش.

ونضيف أيضاً إلى هذه المجموعة الدمى المصنوعة من قرون الماموت التي عثر عليها في العديد من المواقع السيبيرية التي تمثل الربة الأم [الشكل: 32].



الشكل (32): دميتين للربة الأم من موقع مالتا في سيبيريا.

أما بالنسبة إلى الدمى الحيوانية فكان من أشهرها في أوروبا الغربية الدمية التي تمثل إنساناً برأس أسد [الشكل: 33]، التي عثر عليها عام 1939م في مغارة هوهلونستين–ستاديل الواقعة جنوب غرب ألمانيا، فقد صنعت من قرون الماموت، وهي تؤرخ على نحو 32000 سنة ق. م، وتعود للثقافة الأورينياسية، وكذلك دمية الدب المصنوع من قرون الرنة التي عثر عليها في لوجيري– باس والتي تعود للثقافة المجدلانية [الشكل: 34]، وفي ختام الحديث عن الدمى العظمية الحيوانية لا بد من الإشارة إلى الدمى التي عثر عليها في موقعي مالتا وبوريات العائدين لثقافة مالتا، فقد عثر في هذين الموقعين على كثير من الدمى، وكان من بينها الدمى المصنوعة من قرون الماموت التي تمثل طائر الإوز في وضعيات مختلفة، ومنها وضعية الطيران والوقوف[32] [الشكلين: 35 و 36].



الشكل (33): دمية إنسان برأس أسد تعود للثقافة الأورينياسية، من مغارة هوهلونستين.

[32] BANDI H.-G. 2000. l'art paléolithique et mésolithique en Europe، De l'apparition de Homo Sapiens Sapiens jusqu'aux débuts de la production de nourriture، In: CORIENNE JULIEN avec la collaboration de Khadija Touré 2000. History of Humanity–Vol I: Prehistory and the Beginning of Civilization، l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation، la science et la culture (UNESCO)، Paris et Routledge، Londres، p. 572-587.



الشكل (34): دمية لدب مصنوعة من قرون الرنة، عثر عليها في لوجيري- باس، تعود للثقافة المجدلانية.



الشكل (35): ثلاث دمى لطائر الإوز في وضعية الطيران، من موقع مالتا.



الشكل (36): دمية لطائر الإوز في وضعية الوقوف، من موقع مالتا.

الآلات الموسيقية: صنع الإنسان العاقل الآلات الموسيقية من عظام الحيوانات، وكانت آلاته الموسيقية عبارة عن آلات نفخية باستثناء الرومب (Rhombe)، والركلور (Racleur)، وأهمها المزمار (Flûte) الذي فضل صناعته من عظام النسر، والأمثلة على هذه الآلة كثيرة نذكر منها أجزاء المزمار الذي عثر عليه في مغارة هولي فيلس

(Hohle Fels) الواقع في سلسلة جبال جورا الألمانية [الشكل: 38]، وكذلك مزمار مغارة بير نو بير الفرنسية (Pair non Pair) والمحفوظ حالياً في متحف أكيتين [الشكل: 39]، والمزمار المكتشف في موقع إستريريتز (Istruritz) الواقع في جبال البيريني الفرنسية، وهو محفوظ حالياً في المتحف الوطني للآثار في فرنسا [الشكل: 40]، ومزمار مغارة بلاكارد (Placard) الواقعة في منطقة أرييج الفرنسية.



الشكل (38): مزمار هولي فيلس.



الشكل (39): مزمار بير نو بير.



الشكل (40): مزمار إستريريتز.

ومن الآلات النفخية التي قام بصناعتها أيضاً الصفارة التي عثر على كثير منها، وهي مثقوبة بثقب في أعلاها مع قناة داخلية مثقوبة حتى مكان النفخ، ومثال ذلك

الصفارة (Sifflets - Phalanges) المكتشفة في موقع لوجيري– باس، والمحفوظة حالياً في المتحف الوطني للآثار في فرنسا [الشكل: 41]، وصفارة مغارة أورينياك الفرنسية (Aurignac) المحفوظة حالياً في متحف بيريكو في فرنسا [الشكل: 42].



الشكل (41): صفارة لوجيري–باس.



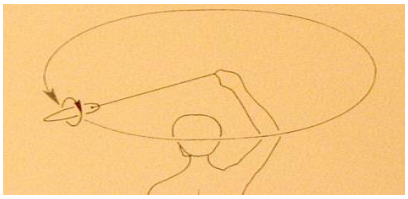
الشكل (42): صفارة أورينياك.

أما آلة الرومب فكان يقوم بصناعتها من قرون الرنة، ومثال ذلك الآلة التي عثر عليها في مغارة لالاند (Lalinde) المحفوظة حالياً في المتحف الوطني للآثار في فرنسا، وهي عبارة عن آلة مسطحة الشكل بيضوية متطاولة مثقوبة في طرفها، ويتم ربطها بخيط من الثقب، ومن ثم يقوم بتدويرها بواسطة الخيط، فتصدر أصواتاً يتحكم بها العازف من خلال السرعة والبطء في التدوير [الشكلين: 43، 44]. أما بالنسبة إلى آلة الركلور فهي مصنوعة من العظام أو قرون الرنة، ويتم إصدار الأصوات من خلال الاحتكاك مع قضيب خشبي أو عظمي، ومثال ذلك الركلور المكتشف في ملجأ سلبيير (Cellier)، وكذلك في مغارة ماس أزيل (Mas d'Azil) في فرنسا[33] [الشكلين: 45، 46].

[33] DAUVOIS M. 2005. Homo musicus palaeolithicus et Palaeoacustica, Munibe Antropologia-Arkeologia, nº 57, p. 225-241.



الشكل (43): آلة الرومب المكتشفة في مغارة لالاند.



الشكل (44): طريقة استخدام آلة الرومب.



الشكل (45): ركلور ملجأ سلبيير.



الشكل (46): ركلور مغارة ما أزيل.

الخاتمة:

يمكننا القول مما تقدم إن الأعمال الفنية سابقة الذكر تمثل مجموعة فنية نوعية تحمل كثيراً من المدلولات مع ندرتها، وبناء على الأهداف الموضوعة لهذا البحث يمكننا إيجاز نتائجه على النحو الآتي:

أولاً: بالنسبة للهدف الأول من هذا البحث المتمثل بدراسة الفنون بجميع جوانبها في بلاد الشام خلال العصر الحجري القديم تم التوصل إلى النتائج الآتية:

1- نلاحظ ندرة الأعمال الفنية العائدة للهوموأركتوس والنياندرتال والإنسان العاقل، بينما نلاحظ زيادتها من الناحيتين الكمية والنوعية خلال عصر الثقافة النطوفية [12500 -10200 ق. م].

2- تتمثل فنون العصر الحجري القديم في بلاد الشام بالنحت، وصناعة الحلي، وأدوات الزينة.

3- يتمثل فن النحت خلال العصر الحجري القديم في بلاد الشام بنحت الدمى، والنقش على الحجر والعظم.

4- تتمثل الحلي وأدوات الزينة خلال هذا العصر بالأطواق والأساور والأقراط إضافة إلى النقش على الحجر والعظم.

5- تمثل مادتي الحجر والعظم المادتان الأوليتان المفضلتان لصناعة الأعمال الفنية خلال هذا العصر.

6- تشمل موضوعات النحت خلال هذا العصر التمثيل الإنساني والحيواني والرموز والإشارات المنقوشة على الحجر والعظم.

7- يتمثل التمثيل الإنساني بالدمى والوجوه المنقوشة على الحجارة، بينما يتمثل التمثيل الحيواني بالدمى وقبضات المناجل العظمية التي تأخذ شكل حيوان فتي مثل الغزلان والأيائل.

ثانياً: بالنسبة للهدف الثاني من هذا البحث المتمثل بمحاولة تفسير الفارق الثقافي في مجال الفنون بين المنطقتين [بلاد الشام– أوروبا الغربية] خلال العصر الحجري القديم نلاحظ – بالاعتماد على المعطيات الميدانية الحالية– ندرة الأعمال الفنية في المشهدين خلال العصرين الحجريين القديم الأدنى [الهوموأركتوس] والقديم الأوسط [النياندرتال]، بينما نلاحظ خلال العصر الحجري القديم الأعلى [الإنسان العاقل] غزارتها وتنوعها في المشهد الأوربي، وندرتها في بلاد الشام، ومع بداية الثقافة النطوفية في بلاد الشام [12500 ق.م] نلاحظ تزايد وتنوع الأعمال الفنية في بلاد الشام. وبالاعتماد على المعطيات الميدانية ترى مجموعة من الباحثين أن الولادة الحقيقية للفنون حدثت خلال العصر الحجري القديم الأعلى وبالتحديد في أوروبا الغربية، ويرى هؤلاء الباحثون أن الإنسان العاقل في أوروبا تفوق ثقافياً بالمقارنة مع بقية المناطق الجغرافية الأخرى في العالم ومنها بلاد الشام، ولكن إذا ناقشنا هذا الموضوع من وجهات نظر أخرى مناخية ومنهجية وكرونولوجية وتكنولوجية يمكننا فتح المجال لاحتمالات جديدة يمكن أن تكشفها التنقيبات المستقبلية. وتشير نتائج الأبحاث والدراسات الأثرية إلى أن الإنسان العاقل عاش خلال عصر بارد؛ وهو العصر الجليدي فيرم الذي كانت تتخلله بعض فترات التحسن المناخي، ومنطقياً فإن الإنسان العاقل التجأ إلى المغارات والملاجئ الصخرية لتقيه البرد القارس، وخلال الفترات الدافئة كان يقيم بشكل مؤقت في مواقع العراء، وانطلاقاً من هذه الحقيقية يتوجب على المنقبين من الناحية المنهجية التركيز فيما يخص العصر الحجري القديم الأعلى على تنقيب المغارات بالدرجة الأولى؛ لأنها تمثل مراكز

الإقامة الدائمة للإنسان العاقل خلال ذلك العصر، وبالفعل هذا ما حدث في أوروبا الغربية ، فقد تم تنقيب مئات المغارات، وعثر فيها على ألاف اللوحات، بينما نلاحظ في بلاد الشام أن المواقع المنقبة من هذا العصر لا يتجاوز عددها عشرين موقعاً، وهي بمعظمها أماكن استيطان مؤقتة من نمط مواقع العراء والملاجئ الصخرية قليلة العمق. وإذا نظرنا إلى إشكالية البحث المطروحة هنا من الناحيتين الكرونولوجية والتكنولوجية نلاحظ وجود استمرارية في الاستيطان من بداية العصر الحجري القديم حتى نهايته في بلاد الشام [1800000 –10000 ق.م] كما نلاحظ أن منطقة بلاد الشام كانت طيلة تلك الفترة منطقة تبادل وتفاعل ثقافي حيوي مع معظم المناطق في قارات العالم القديم [أسيا وأفريقيا وأوروبا] ، وهذا ما نلمسه بشكل جلي خلال الصناعات الحجرية التي تبرز التفوق الثقافي لمنطقة بلاد الشام خلال العصر الحجري القديم، إذاً إن المستوى الثقافي المتميز الذي بلغه الإنسان العاقل من ناحية تكنولوجيا التصنيع، والقدرة على التفاعل مع البيئة، وتوفير مقومات الاستمرار يجب أن تكون مترافقة – من الناحية المنطقية – مع حالة فنية ورمزية متميزة كما شاهدنا في أوروبا الغربية.

وخلاصة القول يتوجب علينا أهل الاختصاص في عصور ما قبل التاريخ أن نترك المجال مفتوحاً أمام جميع الفرضيات المتعلقة بالإنسان العاقل، ومنطقياً وحيادياً ما ينبغي علينا قوله اليوم إن المعطيات الميدانية الحالية تشير إلى تفوق الإنسان العاقل في أوروبا الغربية في مجال الفنون على بقية المناطق الأخرى ومنها بلاد الشام، ولكن هذه النتيجة مازالت غير مؤكدة وبحاجة إلى المزيد من البحث، ولا يمكننا تعميمها قبل أن نقوم بتنقيب مجموعة من المغارات المتميزة في بلاد الشام لإثبات حقيقة الأمر.

المراجعReferences :

المراجع العربية:

1- كوفان، جاك: ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، ترجمة سلطان محيسن، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة أولى، 1988م.

المراجع الأجنبية:

2- ADAM K. D.، KURZ R. 1984. L'Art des cavernes. Atlas des grottes ornées paléolithiques françaises. Paris.
3- BAFFIER D. 1999. Les derniers Néandertaliens - Le Châtelperronien، Paris، la maison des roches.
4- BANDI H.-G. 2000. l'art paléolithique et mésolithique en Europe، De l'apparition de Homo Sapiens Sapiens jusqu'aux débuts de la production de nourriture، In: CORIENNE JULIEN avec la collaboration de Khadija Touré 2000. History of Humanity–Vol I: Prehistory and the Beginning of Civilization، l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation، la science et la culture (UNESCO)، Paris et Routledge، Londres، p. 572-587.
5- BAR-YOSEF O. 1991. The archaeology of the Natufian layer at Hamam Cave. In: Bar-Yosef O.، Valla F. R.، eds. The Natufian Culture in the Levant. International Monographs in Prehistory، Archaeological، Series 1.
6- BARBAZA M. 1999. Les Civilisations postglaciaires. La vie dans la grande forêt tempérée، Histoire de la France préhistorique، La Maison des Roches.
7- BELFER C. A. and BAR-YOSEF O. 1981. The Aurignacian at Hamam Cave. Paléorient، n° 7-2.

8- BON F. 2009. Préhistoire: La fabrique de l'homme. vol. 14، Seuil، coll. «Collection L'Univers historique».
9- CAMPANA D. V. 1989. Natufian and Protoneolithic Bone Tools. Oxford: BAR international series 494.
10- DAUVOIS M. 2005. Homo musicus palaeolithicus et Palaeoacustica, Munibe Antropologia-Arkeologia, n° 57.
11- DROZDOV N. I.، ARTEMIEV E. V. 2007. The Paleolithic site of Afantova Gora. Recent findings and new issues. Archaeology، Ethnology، Anthropology of Eurasia 29.
12- EWING J. F. 1949. The treasures of Ksar' Akil. Thought، Fordham University Quarterly، XXIV، n° 93.
13- GARROD D. A. E.، BATE D. M. A. 1937. The Stone Age of Mount Carmel. Vol 1، Oxford، Clarendon Press.
14- GHAZI H. 2013. Contribution à la connaissance de l'Aurignacien du Levant: analyse typo-technologique des industries lithiques de la séquence de Yabroud II (Syrie). Thèse de Doctorat en Préhistoire، Université de Bordeaux I.
15- GRON O. 1995. The Maglemose culture: the reconstruction of the social organization of a mesolithic culture in Northern Europe. BAR (International series)، Nr. 616، Oxford.
16- INIZAN M.-L. 1978. Coquillages de Ksar-Aqil: éléments de parure? Paléorient، n° 4-1.
17- JAUBERT J. 1999. Chasseurs et artisans du Moustérien. La Maison des roches.
18- LANGLAIS M.، PETILLON J.-M.، DUCASSE S. et LENOIR M. 2010. Badegoulien versus Magdalénien : entre choc culturel et lente transition dans l'Aquitaine paléolithique، in: De Néandertal à l'Homme moderne - L'Aquitaine préhistorique، vingt ans de découvertes (1990-2010)، Mistrot، V.، (Éd.)، éditions Confluences.

19- MARSHACK A. 1997. The Berekhat Ram figurine: a late Acheulian carving from the Middle East-La figurine de Berekhat Ram: Une sculpture de l'Acheuléen tardif du Moyen Orient. Antiquity 71/272.
20- OTTE M. 2000. Le paléolithique supérieur et le mésolithique en Europe، In: CORIENNE JULIEN avec la collaboration de Khadija Touré 2000. History of Humanity – Vol I: Prehistory and the Beginning of Civilization، l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation، la science et la culture (UNESCO)، Paris et Routledge، Londres.
21- PRIETO A.، and CARDENAS R. A. 2010. The Mal'ta Ivory Plate: A Paleolithic Mnemonic of Leather Technology? Current Research in the Pleistocene 27.
22- RIGAUD S. 2011. La parure: traceur de la géographie culturelle et des dynamiques de peuplement au passage Mésolithique- Néolithique en Europe.
23- RUST A.1950. Die Hôhlenfunde von Jabrud (Syrien)، K. Wachbaltz، Neumiinster.
24- SOLECKI R. S، SOLECKI R. L. 1987-1988. Archaeological Researches at Yabroud، Syria and Vicinity، summer 1987. Annales Archéologiques Arabes Syriennes، n°37-38.
25- STORDEUR D. 1991. Le Natoufien et son évolution à travers les artefacts en os. In BAR-YOSEF، O. et VALLA، F. R. (Eds.) The Natufian Culture in the Levant. Michigan: International Monograph in Prehistory (Archaeological series 1).
26- TIXIER J. 1974. Poinçon décoré du Paléolithique supérieur à Ksar Aqil (Liban). Paléorient، n° 2.

27- TIXIER J.، INIZAN M.-L. 1981. Ksar 'Aqil، stratigraphie et ensembles lithiques dans le Paléolithique Supérieur: fouilles 1971-1975. In: Cauvin، J. & Sanlaville (eds.)، Préhistoire du Levant: chronologie et organisation de l'espace depuis les origines jusqu'au VIe millénaire. Colloques Internationaux du CNRS، 10-14 juin Lyon، Maison de l'Orient. Paris: Centre National de la Recherche Scientifique.

28- TURVILLE-PETRE F. 1932. Excavations in the Mugharet el-Kebarah. Journal of the Royal Anthropological Society، 62.

29- VALDEYRON N. 2008. Sauveterrien et Sauveterriano: unité ou diversité du premier mésolithique en France méridionale et en Italie du nord. Pallas 76.

30- VALLA F. 1991. Les Natoufiens de Mallaha et l'espace، in BAR YOSEF O.، et VALLA F. (éds.)، The Natufian culture in the Levant. International Monographs in Prehistory. Archaeological Series 1، Michigan.